فى عالم التربية

بعض عوامل الضعف فى تكوين الفرد وطرق علاجها فى الأسرة والمدرسة [1]

بقلم حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد برهى الدين بركات بك
وزير المعارف الأسبق

سادتى :

بينما كنت أطالع منذ أيام إحدى المجلات الزراعية استرعى نظرى ما قرأت لخبير زراعة القصب من قوله : إن الفلاح المصرى وصل فى بعض الشئون الزراعية بفضل مثابرته وارتقابه لزراعته درجة من الاتقان لم يصل إليها العلم الحديث ، فالتجربة علمته من طرق الزراعة ما يأتى بأحسن الثمرات .

قد يدهش المرء لتلك العبارة، ولكنه إذا فكر أن الحاجة تفتق الحيلة، وأن الضرورة أم الاختراع ، عرف كيف تستطيع الجهود المتجمعة أن تصل إلى مالا يستطيع العلماء أنفسهم .

هذه شهادة العلماء عن نتيجة ماوصلنا إليه بفضل عنايتنا بنباتنا وزراعتنا، فهل نحن وصلنا إلى بعض تلك النتيجة فيما يتعلق بتربية أبنائنا وبناتنا ؟

بالأسف كلا !

أغش أى مجلس من مجالس الفلاحين تجدهم يبحثون فى أوان الزراعة

---

(١) هذه هى المحاضرة التى ألقيت فى معسكر الرواد بأرض المدرسة السعيدية فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٥

فى العلائم لنجاحها ، وفى طرق ريها ، وكيفية معالجتها ، وأحسن الوسائل لإكثار الانتاج ، وطرق مكافحة الآفات الزراعية وغير ذلك . واغش بعد ذلك مجالس القاهرة تجدهم يتناقشون فى السياسة ، وفى الدرجات ، وفى أسباب تفضيل زيد على بكر ، وغير ذلك من المسائل التى تشغل الرأى العام . ولكنك يندر أن تجد مجلساً يتناقش فى طريقة معاملة الأطفال ، وفى أحسن السبل لتربيتهم وتقويم المعوج فيهم ؛ وكثيراً ما تسمع الناس ينسبون العيب إلى المدرسة ، والتقصير إلى الحكومة ، ويندر أن تجد من يذكر أن الأسرة هى المدرسة الأولى للطفل ، وأن للطفل ذاكرة كالمرآة ينعكس فيها كل ما يراه ، وينطبع أثره فى نفسه ، وينتج نتيجة فى أخلاقه وتكوينه إذا ما بلغ شاباً ثم رجلا .

فهل فكرنا نحن ، فى تربية أولادنا ، فى أن نحجم عن ارتكاب النقائص أمامهم ، وأن يكون الأبوان نموذجا حسنا لهم ؟ أظن لا !

ولعل جمهرة الآباء والأمهات عندنا لا يشعرون بأن عليهم واجبا لأولادهم ، ولا بأن الأمثلة السيئة التى يراها الطفل ستلازمه حتما مدى الحياة.

ألسنا نرى كثيراً من الآباء والأمهات يلقنون أولادهم الكذب ، ويطبعون فيهم روح الغيرة والحسد بما يقصون أمامهم من الأحاديث ، ويلقنونهم من الأوامر ؟

فكم من الآباء والأمهات يتنهون إلى أن كثيرا من القصص العائلية والمشاحنات الفردية لا يصح ذكرها أمام أبنائهم وبناتهم حتى لا يفقدوا روح العطف نحو أهلهم ، وحتى ينشأوا طاهرين مما يثقل ماضى أهلهم ، فيبدلوا حياة أسعد من حياتهم ، ويعملوا بروح من المحبة بعيدة عن البغضاء والشحناء ، وعن الاثرة والأنانية .

هل فكر أحد منا فى ذلك ، وعمل عليه فى تربية أبنائه ؟ أو لسنا فى

كثير من الأحيان نستحث أولادنا وبناتنا إلى العمل من طريق بث روح الغيرة والحسد نحو الآخرين ؟ بل من طريق بذر بذور عدم الثقة والكراهة بين الاخوة ، فكم من والد يقول لولده (أنا أحبك أكثر من أخيك — أخوك بطال — كل هذه القطعة ولا تخبر أخاك عنها ، أو أخفها منه) وغير ذلك مما يعود الطفل منذ نعومة أظفاره الأثرة والأنانية ويغرس فى نفسه الغيرة والحسد حتى من أخوته .

° ° °

كذلك كان من نتائج عدم تفكيرنا فى طرق معالجة أطفالنا ، أنه بينما يفكر كل منا فى رفاهية أولاده العادية إذا به يهمل الجهة المعنوية اهمالا تاما ، فلقد كنا فى ماض ليس بعيداً نسمع أن الولد لا يصح له أن يجالس أباه ، وأن الزوجة لا تأكل مع زوجها ، وأن الطاعة واجب كل منهما لرب البيت وما درى هؤلاء أنهم كانوا بذلك يغرسون روح الذل والاستبداد فى أبنائهم وبناتهم ، ويعطلون فيهم جميع الصفات الضرورية لجعلهم أفرادا أحراراً فى مجتمع يحميهم ويعملون هم على رقيه .

حقا لقد تغيرت تلك الحالة الآن ، ولكن تغيرها كان فى الشكل ، أما فى الجوهر فلا يزال كثير من الآباء والأمهات يتصورون أن الطفل يجب أن يربى على الأدب والطاعة .

فالأدب فى عرفهم : أن يجلس الطفل جلسة مخصوصة ، وألا يتحرك فى مجلسه ، وإذا ضرب لا يبكى .

وأما الطاعة فهى أن يتلقى الأوامر فيخضع لها مهما كانت ، وما دروا أن الطفل يحتاج دائما إلى الحركة ، وأن السكون فى الطفولة الأولى علامة المرض والخمول ، وأن من يضرب ولا يبكى فإنما ينشأ ذليلا حقيرا ، وأن من يحرم حق التفكير لا يمكن أن يكون حراً ، وأن النظام والطاعة

غير الخضوع والخشوع؟ وأن الوالد لو فكر فى حق ابنه عليه ما جعل لتفوقه العادى على ذلك الطفل، ولا للنعرة الوقتية التى تأخذه بالأمم إذا ما اعترض الولد على أمر من أوامره أى أثر فى تربية ولده. ولكن للأسف تجد الحالة الفكرية فى أذهان الناس على الضد من ذلك، فهم يطلبون من الولد أن يكون أداة طبيعية لهم من غير أن يفكروا لتلك الآثار العميقة فى تكوين الطفل وما لها من نتائج بعيدة المدى.

إذ أن من يربى على الخضوع لا يكون عاجزا فقط بل ينقلب طاغية مستبدا إذا ما ولى الأمر بدوره. وإنى لا أزال أذكر أنى فى المراكز التى شغلتها، كنت أحتاج إلى كثير من التشجيع حتى يستطيع غالب الموظفين الذين كانوا تحت رياستى أن يبدوا رأيهم بحرية، لأنه انطبع فى أذهان كثير من رؤسائهم أن الاحترام معناه أن يفتن المرءوس فى الرئيس، وأن الشخص الذى يعارض رأيك لا يمكن أن يكون محلا لرضاك، وأن طاعة الرئيس معناها شل كل رأى يخالف رأيه، فلعمرى كيف يمكن التعاون والحالة النفسية على ما قدمنا، بل كيف يرقى مجتمع تلك حالة أفراده!

ولا أزال أذكر كذلك أنى عندما كنت وزيرا للمعارف لاحظت عدم وجود أداة اتصال بين رجال التعليم ليبحثوا فى نظم التربية والتعليم، ويعملوا على ترقيتها وإصلاح مافيها من العيوب، ففكرت فى إنشاء مجلة لتكون أداة لتلك الأبحاث؛ وفعلا دعوت بعض رجال المعارف لمباحثتهم فى الأمر، فسألنى أحدهم: وهل يكون لتلك المجلة حق نقد النظم الحاضرة؟ فقلت له: نعم، لأن سبيل التقدم والرقى هو معرفة عيوب الحاضر، ولا يمكن أن نصل لذلك بغير النقد، وما دامت الأبحاث محصورة فى الحدود العلمية والفنية من غير أن تتعدى إلى الأشخاص أو السياسة أو الدين فمجالها حر للباحثين، فأجابنى، وقد شعر بغرابة وقع سؤاله من نفسى، بأنه إنما

أراد الاستفسار، لأن الفكرة عرضت فى عهد أحد الوزراء الذين تولوا أمر الوزارة قبلى ببضع سنين، فاعترض عليها ذلك الوزير وقال: كيف أسمح لرجال التعليم، ومهمتهم الدفاع عن الوزارة ونظمها بنقد نظم التعليم!

أيها السادة:

أرجو أن لا يدهشكم هذا القول، فلقد كان الوزير الذى أشير إليه معروفا بين الناس بالحكمة وحسن التدبير، وهو ممن تركوا فى نفوس الكثيرين أثراً طيباً، ولكن الأمور اشتبهت علينا، وتربية الأسرة فينا أضلتنا السبيل حتى صرنا لانحس بآثار تلك التربية وما تركته فينا من الخشوع، والرضى بالاستبداد، فالتبس علينا الأمر وصرنا نرى حسناً ماليس بالحسن.

* * *

وثمة نتيجة أخرى من نتائج تلك الحالة فى الأسرة، وهى أننا بما يسمعه أطفالنا من أحاديث آبائهم وأهليهم، ومن عرض الخلافات الصغيرة والحقيرة أمامهم ساعدنا على أن نغرس فى نفوسهم روح الغيرة الخبيثة والحقد، مما يضعف فيهم روح التعاون والعمل المشترك. ذلك أنه انطبع فى الأذهان من أثر الحياة المنزلية، وما نراه فيها من شحناء وبغضاء، التعلق بكثير من سفاسف الأمور، والميل إلى المناظر الوضيعة، واثارة الحقد الدفين فى النفوس، مما جعل الناس ينتقد بعضهم بعضا بسبب ومن غير سبب، ومما جعل الكثيرين يظنون أنهم لايستطيعون أن يجعلوا لأنفسهم مكانة أو احتراما إلا إذا أضعفوا من قيمة غيرهم وشوهوا اعمالهم. فكم سمعنا عن المديرين فى الأقاليم، والرؤساء فى المصالح، والوزراء فى الدواوين: أنهم يجعلون همهم تشويه ماعمله أسلافهم حتى يكون لهم وحدهم الفخر؛ وكم سمعنا عن فشل دب بين جماعات.

أنشئت لتعمل متحدة ، ذلك لأن الأشخاص ربوا على القطيعة والحقد فلا يفهمون روح التعاون ، ولست أود ان أذكر أمثلة ما نراه فى مصر ، فليس من موضوعى الليلة أن أتعرض للحياة العامة ، ولكنى أذكر انى كنت فى تركيا عام ١٩٢٩ ، وذهبت لمشاهدة مباراة كرة القدم بين الفريق التركى والفريق المصرى ، ولقد كان أفراد الفريق المصرى متفوقين على زملائهم الأتراك ، ولكن للأسف كان الكثيرون منهم اذا أمسك بالكرة حاول أن يصل بها الى الهدف لينال هو فخر الانتصار وحده ، أما الفريق التركى فكان الواحد منهم يأخذ الكرة فاذا أحس أن هجوما يدبر ضده مررها الى زميل له ، وهكذا حتى انتهى الأمر بانتصار الفريق التركى على المصرى ، ونالت تركيا فخر الانتصار ، مع أن أفرادها كانوا أقل كفاءة من أفراد الفريق المصرى ، ولكنهم عرفوا سرًّا للنجاح فى الحياة خفى علينا ، ألا وهو أن التعاون يزيد القوى قوة ، ويخلق سببا جديدا للنصر. تعم فائدته الأفراد ؛ فالطفل عندنا متروك لمحض المصادفة ، فهو أشبه بنبات الغابة وأحراشها تنمو فوضى لا نظام لها ، ويقتل قويها ضعيفها ، ويتغلب خبيثها على طيبها ، ولو شئنا له نجاحا وللإنسانية فلاحا لتعهدناه كما نتعهد النبات أو الأشجار العشرة التى نحرث لها الأرض ونتعهدها بالسقيا ، ونطهرها من الحشرات والنباتات الخبيثة ، ونعمل على تلقيحها بأحسن الثمار وأجود الأصناف ، ولا شك أن هذا عمل شاق يحتاج إلى النشر والدعاية والمثل الصالح . وبالجملة إن رمنا فلاحا وجب أن نعنى بحالة أولادنا الفكرية والمعنوية ، كما نعنى بحالتهم العادية والصحية.

ولقد شعر كثير من الناس بنتائج تلك الحالة السيئة فأرادوا معالجتها من طريق معاملة أولادهم معاملة طيبة ، وغرس روح الاستقلال فيهم ،

ولكن تغلبت فيهم روح الزهو فنظروا لأولادهم ، لا نظرة الأمين على فلذة كبده ، بل نظرة الفاخر بجمال ولده . ولذلك أسرفوا فى طريقة لباسهم. فكم من الأطفال عندنا يلبسون الحرير والملابس الثمينة ، بينما ثروة الوالدين لا تسمح بشىء من ذلك ، وكم من الأمهات يباهين بأن ابنهن يلبس أحسن من لبس ابن فلان الثرى ، وكم منهن بلغ بهن الزهو أن لا يشترين ملابس الأولاد إلا من أوربا ، غير عابئات بالأثر السيء الذى ينطبع فى ذهن الطفل فيركز اهتمامه فى تلك الناحية ، حتى اذا ما شب وجد والديه غير قادرين على أن يحفظا له من النعيم ما عوداه أياه فى نشأته الأولى ، فيقع الخلاف فى الأسرة ويغلو الولد فى طلباته ، وهكذا تكون الأسرة ضحية صراع داخلى ، وفريسة تبذير ينتهى بخرابها .

ومن الأسف ان هذا الضعف قد ينشأ بطرق شتى خصوصا فى تربية البنت ، فإن كثيرا من السيدات يضعن مسئلة الزى فى المرتبة الأولى من تفكيرهن ، ولا يحسبن لثروتهن أو ثروة أزواجهن أى حساب ، فتنشأ البنت فى هذا الوسط ضعيفة مبذرة ، لا تستطيع أن تقوم بواجبها نحو منزلها ولا نحو أولادها ، وترى الثروة التى لديها قليلة حتى ولو كانت واسعة ، لأنها لا تستطيع لنفسها تدبيرا ، وبذلك ينتقل الآباء من خطإ الى خطإ آخر . ذلك أن معالجة أمور الطفل من أدق المسائل وأعقدها ، وهى أجدرها بالعناية والاهتمام ، ولا يصح للإنسان أن يأخذ برأى من غير أن يقلب الأمور على جميع وجوهها ، وأن يبحث عن ذوى الرأى والتجربة للاسترشاد بهم فى معالجتها ، مع ذلك فلا يظنن انسان ان التربية والبيئة هما كل شىء ، فان للطبيعة نفسها ولميراث الطفل من الأجيال العدة التى تركزت فيه أثرا فعالا فى تكوينه ، فنحن بصناعتنا انما نساعد الطبيعة أو نعدلها ، ولكنا لا نستطيع أن نخلقها خلقا جديدا ، وما الأسرة إلا صورة مصغرة

للمجتمع الذى نعيش فيه ، فاذا رمنا لهـذا المجتمع صلاحا وجب أن نبدأ بالأسرة أولا ، فإذا صلحت الأسرة عملت على اصلاح المجتمع .

والآن وقد عرضت لأحد عوامل الضعف فى تكوين الأسرة للفرد أنتقل الى عامل من عوامل الضعف فى تكوين الفرد فى المدرسة .

كانا نسمع الشكوى المرة من حالة التعليم ، ونسمع الصرخة العـالية ضد نشر التعليم فى الأرياف ، لأنه يحول بين المتعلمين والغيط ، فالولد الذى يدخل المكتب أو الكتاب يرفض بعـد ذلك أن يتولى عملا من أعمال الزراعة ، وكثيرا ما نقرأ فى الجرائد عن العاطلين من حـملة الشهادات وما يجب لهم من التشجيع ، ونقرأ الاقتراح تلو الاقتراح عن وسائل تفرج تلك الأزمة وما يجب على الحكومة إزاءها ، وبعد أن كان الناس يقدسون العـلم ويرونه خطوة نحو الكمال فى الانسانيـة أصبحوا الآن يشكون فى فائدته . ويرونه خطرا على المجتمع الإنسانى ، وشيئا يجب أن نحتاط من تناوله إلا بالقـدر الضرورى ، وبعـد أن كان الشك فى فائدة العـلم مقصورا على طبقة الجهلة من الناس أصبح حديث الجميع ، ففى أرقى المجالس العلمية تسمع كـثيرا من الناس يقولون بوجوب حصر التعليم حتى لا تزداد طبقة المتعلمين الذين لا يجدون وظائف فى المجتمع فينقلبون خطرا عليه ، ويكونون أداة اضطراب فى البلاد .

وإذا ناقشت هؤلاء القائلين أجابوك على الفور : ألا ترى كيف ان حملة الشهادات أصبحوا عالة على الأمة ؟ ألا تراهم فى كل يوم يأتون إليك طالبين وظائف حكومية ؟ وكيف يكون الحال إذا نحن ظللنا مستمرين فى تلك السياسة ؟ أليس الأجدر بنا أن نعترف بالامر الواقع ، ونواجه الحقائق كما هى ، ونترك الأفكار النظرية لنكون عمليين ، وندرأ خطر الفوضى عن البلاد قبل استفحال الخطب ؟

فهل حقيقة ان الأمور انقلبت رأسا على عقب الى هذا الحد ؟ وهل أصبح العلم الذى كنا نفاخر به ، وكنا نباهى بالحكمة الجارية : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » و « اطلبوا العلم ولو فى الصين » أصبحت خرافة من الخرافات !

لا ياسادة ! لم تنقلب الحقائق ، ولكنا رأينا حالة شاذة ، ورأينا اضطرابا فى المجتمع كان مظهره حملة الشهادات ومتخرجو المدارس ودور العلم ، فربطنا ظاهرتين إحداهما بالأخرى ، وضل بنا المنطق ، فاعتقدنا بأن الخطر ناشىء من العلم ، وناد ينا بوجوب الحد منه بتقليل عدد طلابه ، ولكنا لحسن الحظ نؤمن بذلك المذهب كل الإيمان ، فليس منا من يرضى بأن يعمل بتلك النظرية بالنسبة لأولاده ، واذا طبقت على أحدهم كان أول ساع الى المطالبة بالاستثناء الملح فى الدفاع عن وجوب فتح أبواب التعليم لجميع الناس والا اضطروا أن يرسلوا أولادهم لأوربا فالحمد لله الذى جعل غريزة الدفاع عن النفس أقوى الغرائز . فهى تتغلب على جميع النظريات ، وكثيرا ما تصل من طريقها الى الحل الصحيح غير عابئة بما ينسجه المتفلسفون من النظريات ، وما ينادى به السفسطائيون من المبادىء .

فالحق أيها السادة أن العلم لا يزال هو هو ، له من القداسة ما كان له فى الماضى ، ولكن نظم التعليم والمدرسة عندنا فيها من العيوب ما جعلنا نشعر بتلك الأزمة الشديدة التى نشكوا منها اليوم ، فضل كثير من الباحثين ونسبوا إلى العلم ماهو راجع إلى نظم التعليم والمدرسة ، فليس يحتاج إلى دليل أو برهان أن العلم زيادة فى المعرفة . وإذا زادت معرفة الانسان كان أقدر على مكافحة الحياة ، وأكفأ على استثمارها واستدرار خيراتها ، فاذا ظهر لنا خطر من حالة من نسميهم متعلمين فانما يكون ذلك لعيب فى تعليمهم ، وضلال فى طريقة نشأتهم . فالتعليم الأولى والابتدائى

بل والثانوى لا يمنع الولد من ممارسة أى عمل من الأعمال البدنية فى أوربا ، بل يزيده استعدادا للعمل ويفتح له مجالا من التقدم فيه أكثر من غيره . أما نحن فبمجرد أن يصل الولد إلى الشهادة يعتبر نفسه كفئا لتولى وظيفة حكومية ، ولا يرضى بمزاولة عمل أبيه من تجارة أو برادة أو طهى أو غير ذلك ، فما السر فى هذا ؟ لقد استعرضت أمامى عوامل عدة لتلك الحالة ، منها أن المتعلمين عندنا لا يزالون قليلى العدد ، فمن تعلم منا يعتبر نفسه انتقل إلى طبقة ارستقراطية تعطيه حقوقا أكبر من حقوق زميله الأوربى . تفسير له وجاهته ، ولكن كيف لم تستطع الأزمة الشديدة التى مررنا بها أن تخفف من غلواء هؤلاء الناس ؟ بل كيف لا يغير تلك الحالة مانرى عليه حملة الشهادات من الفقر والعوز ! الجواب على ذلك أن هذا كان من شأنه أن يغير تلك الحالة تماما ، لولا أن لدينا فى تعليمنا عنصرا يبدو ظاهره بسيطا ، ولكنه فى الواقع عميق الأثر فى نفسيتنا وطريقة تفكيرنا . ذلك العنصر هو اللباس الذى يرتديه الصبية فى المدارس . فلقد قضى النظام المتبع عندنا فى المدارس الابتدائية أن يلبس الولد الملابس الإفرنجية ، فهو منذ صغره يلبس لباساً مخالفا تمام المخالفة للباس والديه . فيثبت فى ذهن الولد ، بل وفى ذهن والديه ، أنه صار من طبقة غير طبقتهم ، فهو من الحكام ، وأهله من المحكومين ، فلا يصح له منذ تلك الساعة أن يعمل عملهم . ولا ان يساعدهم فى مهنتهم ، فهو لن يكون نجارا ولا برادا ولا طاهيا ، بل ولا يصح له ان يكون ناظر زراعة ولا بائعا ولا تاجرا . يجب ان يكون « افندى » فى الديوان ! هذا هو السر فى تلك الأزمة المروعة ، وفى أن المتعلمين من الأوربيين يقبلون تلك المهن ويباشرونها بأنفسهم ، وقد يتدرجون فيها إلى أن يكونوا أصحاب ثروة وجاه عريض . اما نحن فلا نتولاها ولا نصل فيها إلى درجة ما ، ذلك أنهم لا يأنفون العمل مهما

كان نوعه ، بل يحبونه ويحترمونه ويباهون به ، اما نحن فنراه مرتبة . أقل من مرتبة المتعلم .

ولقد شعر بعض رجال التعليم بهذا الضرر فى المدارس الابتدائية وتلافوا جزءا منه فى الكتاتيب ، ولكن تصرفهم ظل ناقصا فلم يقض على الشعور فى نفس الطفل ، فظل ولد الكتاب مخالفا لأبيه ، وأنف من المزرعة التى يعمل فيها والده عارى القدمين ، معرضا للطين والتراب يلوث ملابسه وجسده .

اما علاج تلك الحالة فهو ان يكون المكتب صورة لحياة الولد المنزلية بحيث لا تخرجه عن حالة البيئة التى يؤهل للعمل فيها ، وبهذا العلاج تمنع الفوضى الفكرية التى تلازم الآن كل من دخل المكتب . اما فى المدرسة فيجب ان يلبس الصبية لباسا بسيطا متينا . ومن الغريب ان مدارس البنات حتى ارقاها من المدارس المصرية والاوربية هنا تنحو هذا النحو ، فتلبس البنات جميعهن سراويل من نوع واحد مصنوعة من نسج قليل الثمن . اما الأولاد فيلبسون أربطة الرقبة الحريرية ، والأقمشة الغالية الدقيقة الصنع ، والأحذية الرشيقة القد . فماهذا أيها السادة ! وكيف ننتظر لهذا الولد أن ينشأ رجلا قويا يشتغل بساعديه ولا يبالى بمجهود الرجال الجثمانى .

نشئوا الأولاد تلك النشأة ، وسترون منهم رجالا يحبون العمل وينهضون به ويفاخرون بنجاحهم فيه ، فيكونون ملوك الصناعة والزراعة والتجارة ، كما هو الحال فى اوربا وامريكا . اما تلك العيشة الناعمة فليست من شأن الرجال الناهضين .

جربوا هذا وقدروا تأثيره الأدبى والنفسى فى الأطفال وذويهم ، ثم قدروا ما يدره من الخير على تلك الطبقة المتوسطة من الأمة التى رزقت من الصفات الخلقية ، ومن حب العمل والاجتهاد والمثابرة ما نغتبط له

أشد الاغتباط ، بما يقلل من تكاليف أولادهم ، وبما يجعلهم يستطيعون الاقتصاد فى معيشتهم . لأن تربية أولادهم تصبح فى متناول أيديهم ، فينشئونهم نشأة صالحة تزول معها أسباب كثيرة من الخلاف الذى يترتب على كون الآباء غير قادرين على إجابة أطماع أولادهم فى الملبس والمعيشة ، لأن المناظرة فيها ستزول لارتداء الأولاد جميعا رداء واحدا . هذه ناحية من نواحى الضعف فى المدرسة .

وهناك ناحية أخرى ترتبط بها ، إذ أننا كما نسمع الشكوى عالية من أصحاب الشهادات ، كذلك نسمع الشكوى عالية من جانب الجامعة ورجال التعليم العالى من أن مستوى الثقافة فى الشهادة الثانوية أقل مما يؤهل للدراسات العالية ، ولذلك طالب الكثيرون بقصر من يدخلون المدارس العالية على عدد محدد ، أو نسبة مخصوصة من النجاح فى الشهادة الثانوية .

ونحن من جهة أخرى نسمع صيحة داوية لآباء الشبان الحائزين للشهادة الثانوية الذين لم يقبلوا فى المدارس العالية قائلين لنا : ماذا نعمل بأبنائنا وقد وصلوا الى درجة من العلم هى بإقراركم كافية لتدرجهم فى التعليم العالى؟ وبين هذين الرأيين نرى وزارة المعارف تتذبذب فى تطبيق المبادىء ، فهى طورا مع الفريق الأول ، وطورا مع الفريق الثانى ، فاذا ما اتبعت الرأى الأول كثر عدد العاطلين ، وإذا ما اتبعت الرأى الثانى انحط مستوى التعليم ، ونال الشهادات العالية من ليسوا أهلا لتولى الأعمال التى يجب أن يؤهل لها ذلك النوع من التعليم ، فاذا لم يجدوا عملا صرخوا هم بدورهم صرخة طلاب « البكالوريا » الذين لم يجدوا محلا فى المدرسة ، وبذلك تكون الأزمة انتقلت من حائزى الشهادة الثانوية إلى طلاب الشهادات العالية أو حائزيها .

ولو أننا واجهنا الأمور على حقيقتها لكان علاجها يسيرا ، ذلك أننا نرى

أن المدارس العالية تشترط نسبة للنجاح هى ٦٠ فى المائة ، بينما يمر الطالب فى الشهادة الثانوية إذا جاز الامتحان بنسبة ٤٠ فى المائة ، والبون شاسع بين الدرجتين فى التحصيل ، ومن الواجب أن يكون الطالب فى الشهادة الثانوية مؤهلا حقيقة للدراسة العالية ، وأن تكون مقدرته على التحصيل قريبة من الدرجة المطلوبة للدراسة العالية ، وبذلك يزول الإبهام الموجود فى النظام الحاضر . ويرى الآباء والأبناء ميزانا صحيحا يمكن أن يقيسوا به استعداد الأبناء ، ويكون الحاصلون على الشهادة الثانوية قادرين على الاستمرار فى الدراسة العالية . ويحق لهم حينذاك أن يطالبوا وزارة المعارف بأن تعمل على إيجاد الأمكنة الكافية لجميع المتعلمين الذين وصلوا إلى درجة معينة لمتابعة دراستهم العالية . وسينتهى الخطر الحاضر ، لان العدد سيقتصر بمجرد تطبيق هذا النظام على من يكونون صالحين حقا لتلقى التعليم العالى ، والذين تؤهلهم كفاءاتهم للاعمال المنتجة بعد ذلك ، وهذا الذى أريده فى الدراسة العالية هو نفسه الذى يرشدنى الى الحل الصحيح فى بعض مشكلة الدراسة الثانوية . فشهادة الكفاءة ، أو شهادة الدراسة الثانوية قسم أول ، يجب أن تكون على درجتين ، إحداهما تعد للدراسة الثانوية فالعالية ، وبالتالى تعد لمستوى الثقافة والتعليم النظرى والعملى العالى ، والأخرى تعد للمدارس الصناعية والزراعية والتجارية المتوسطة .

أما الشهادة الابتدائية ، فلعمرى لست أدرى ماهو المبرر لبقائها ، سوى تحميل الوزارة والمدرسين والممتحنين عبئها ، وتضييعهم الوقت على غير جدوى لإجراء امتحاناتها .

وهذا فضلا عما هو ثابت فى أذهان الناس جميعا من أن الشهادة تؤهل صاحبها لعمل ، وتعطيه حقا على الدولة والمجتمع ، فمن حاز شهادة

رأى لنفسه هذا الحق ، وتركز فى ذهنه المطالبة بمستوى معين من الوظائف والأعمال ، فما الداعى لإبقاء تلك الحالة سوى مساعدة العوامل التى تتعاون على اشتداد الأزمة وخلق طبقة غير القانعين فى البلاد ؟

لذلك نرى علاجا لتلك الحالة أن تكون المرحلة الأولى هى شهادة الكفاءة ، على أن يجعل الناجحون فيها فريقين ، الفريق الممتاز الذى يكون قد برهن على استعداد لمتابعة الدراسة الثانوية فالعالية ، والفريق الأقل استعدادا الذى يصلح لمتابعة دراسته فى المدارس الصناعية والزراعية وغيرها . واذا نحن جعلنا الوسط المعاشى فى المدارس الابتدائية الى الكفاءة على ما قدمنا ، فان الأولاد لا ينفرون عند ذلك من مزاولة مهنة آبائهم وأهليهم ، وبذلك نساعد على إيجاد طبقة نالت حظا من التعليم تعمل بنشاط على رقى البلاد الصناعى والزراعى ، وتلافى أزمة من أشد الأزمات التى تهددنا فى مستقبلنا ، ونغرس فى نفوس الأمة وشبيبتها : ان العمل وحده عصب الحياة ومفخرتها .

العيد الذهبى لدار العلوم

سنة ١٩٢٧

سننشر ابتداء من العدد الأول للسنة الثانية ، وصف الاحتفال الباهر الذى احتفلته دار العلوم لعيدها الذهبى فى يوليه سنة ١٩٢٧ وكذلك نصوص الخطب والقصائد التى ألقيت فى ذلك المهرجان العظيم .

وبعد استيفاء نشرها جميعها سيجمع كل ذلك فى الكتاب الذهبى .